الرباعي المكرر ومشتقاته في القرآن الكريم " دراسة صوتية دلالية"

The Recurred Quadruple Verbs in Holy Quran and their Derivatives Semantic phonetic study

الدكتورة: كرام قمرة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الشهيد حمَّة لخضر-الوادي(الجزائر)

kiramg2009@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2020/12/15 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

تتعد مظاهر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ومن بينها تلك الألفاظ ذات البنية الرباعية المكررة، والتي توحي صيغتها الصرفية ، وصورتها الصوتية بدلالتها اللغوية والتركيبية داخل السياق القرآني. فهي ألفاظ قوية تشعرك بالاهتزاز والتكرير لفظا ومعنى، مما يشير إلى تَفَرُّدِ اللفظة القرآنية في مبناها ومعناها وتشكيلها الصوتي .

الكلمات المفتاحية: الرباعي المكرر، الألفاظ الاهتزازية ، الإعجاز الصرفي، الأبعاد الدلالية، الدلالة الصوتية، المقطع الصوتي .

Abstract:

The aspects of the morphological miraculousness are numerous in the Holy Quran. This can be apparent in the recursive quadric-radical-structured morphemes, whose morphological structure and sound image express its linguistic and componential significance within the Quranic context. These words are so strong giving a sense of voicing and recursion whether in structure or in significance, which points to the uniqueness of the Quranic morphemes in their structure, significance as well as in their sound formation.

key words:

The Recursive quadruple, voicing, morphological miraculousness, semantic dimensions, phonemic connotation, phonetic syllable.

مقدمة

الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، موضوع في غاية الأهمية، إلاّ أنه لم يلق حقه من الدراسة والتحليل على غرار مختلف المباحث اللغوية الأخرى في القرآن الكريم رغم إيحاءات قدامى اللغويين والمفسرين، والتفات بعض المحدثين إليه، في دراسات عامة تجوب مختلف الظواهر التصريفية في القرآن الكريم دون تخصص، مركزة في ذلك على علاقة دلالة الصيغة الصرفية بمدلولها اللغوي والتركيبي في السياق القرآني [1].

إلاّ أن المفردة القرآنية لها تركيبة متميزة تنفرد بخصوصيتها الصوتية وإيحاءاتها الدلالية، وهو ما راع اهتمامنا في هذه الورقة البحثية . فعند النظر المتأمل في الأبنية الرباعية المكررة في القرآن الكريم ندرك للوهلة الأولى أنها على قلتها (زلزل – ذبذب- زحزح – حصحص- صلصل- كبكب- رفرف- صرصر- سلسل- عسعس- دمدم – وسوس) توحي بقوة المعنى وإحكام الصياغة تحسسا من أجراس ألفاظها.

والسؤال الذي يطرح هنا : هل لهذه الألفاظ دلالة عامة تشترك بينها ؟ وكيف استمدت هذه الدلالة من بنائها وخصائص أصواتها؟

إن إيقاع اللفظ المفرد وتناغم الكلمة الواحدة عبارة عن جرس موسيقي ، لما يجلبه من وقع في الأذن وأثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورده القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبا مع معطيات الدلالة الصرفية التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها [2].

فألفاظ القرآن الكريم في لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل مختلفة، ليدرك القارئ تلك الموسيقى الرخية المتماوجة التي تشبه الموجة في ارتفاعها وانبساطها، لتعطي مشهدا قرآنيا لا يدانيه مشهد كيف لا! وهو كلام الله تعالى .

وتعد صيغة الرباعي المضاعف أو المكرر أحد الأبنية المتداولة التي استحسنها العرب ويقصد بها " ما كان فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وعينه ولامه الثانية كذلك كزحزح وزلزل ويجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل" [3].

أولا: أبنية الرباعي المكرر ودلالتها في القرآن الكريم

إن تكرار المقطع الصوتي في صيغة "فعلل" (الرباعي المكرر) في القرآن الكريم وما يحدثه من وقع يقرع الآذان ليوحي بقوة إلى الدلالة الضمنية التي يحملها وإلى سياق الآية التي يرد فيها .

ذلك أن اللغة القرآنية تتخذ من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه، معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية ، وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد.

وبناء على هذا التناسب بين اللفظ ومعناه في الفعل الرباعي المكرر ومشتقاته، مما اتسم في صيغته بصامتين لازمين مكررين ، يقول ابن جني "فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها ، وجعلوها دليلا على قوة المعنى المحدث به وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر، حقحق دليلا على تقطيعه" [4].

فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كلما كانت أدل عليه وأشهد بالغرض فيه، وهذا ما نشهده عند تحليل الأفعال الرباعية المضاعفة في القرآن الكريم، التي يتكرر فيها المقطع الصوتي ذاته، وذلك عند الانتقال من المقطع الأول إلى المقطع الثاني، حيث نشعر بالتردد والاهتزاز الحاصل أثناء النطق مما يوحي بدلالة الاهتزاز في المعنى. ومن هذا المنطلق جاءت تسمية مثل هذه الصيغ بالألفاظ الاهتزازية .

ثانيا: تعريف الألفاظ الاهتزازية:

هي تلك الألفاظ التي تشعرك بالمعنى، وتحرك خيالك نحو سلسلة من المعاني تتداعى متصلة بالكلمة ، من خلال تكرار المقطع فيها، وهو مرتبط بجرس الكلمة وإيقاعها وما تحمله من ظلال[5]، وعرفها بعضهم بأنها "ألفاظ تشعر القارئ أو السامع بشدتها وقوتها واهتزازها من خلال تكرار حرفين متتاليين أو تكرار كلمة كاملة قوية اهتزازية لبيان أحداث في غاية الأهمية"[6] تحت ظلال مكثفة من الجرس والنغم و الصدى والإيقاع، والذي يبدو جليا في انتقاء و توظيف الآيات القرآنية للعديد من الألفاظ الاهتزازية .

وفيما يلي بيان لمواضع هذه الألفاظ في القرآن الكريم وتأثيرها في المعنى والتفسير:

	الآية	رقمها	السورة	اللفظة المكررة	جذرها اللغوي	أصلها الثنائي
1	فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ	185	آل عمران	زحزح	زحزح	زح
2	مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ	143	النساء	مذبذبين	ذبذب	ذب
3	الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ	51	يوسف	حصحص	حصحص	حص
4	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ	26	الحجر	صلصال	صلصل	صل
5	فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا	106	طه	صفصف	صفصف	صف
6	فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ	94	الشعراء	فكبكبوا	كبكب	كب
7	إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ	71	غافر	السلاسل	سلسل	سل
8	مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ	76	الرحمان	رفرف	رفرف	رف
9	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	32	الحاقة	صرصر	صرصر	صر
10	وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ	17	التكوير	عسعس	عسعس	عس
11	فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا	4	الشمس	فدمدم	دمدم	دم
12	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	1	الزلزلة	زلزلت	زلزل	زل

ثالثا: التحليل الصوتي والدلالي للألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم

1. زحزح : يقال: " زحَّ الشيء يزحه زحا جذبه في عجلة وزحزحته فتزحزح دفعته ونحيته عن موضعه." فالزحزحة إبعاد وتنحية بعجلة، واقتران حرفي (الزاي والحاء) فيها مضاعفين أضفى عليها تنغيما وتدقيقا معنويا ، فالزاي حرف أسلي (أسناني لثوي) يتصف بالجهر والرخاوة، وخروجه من الأسنان واللثة جعله صفيريا ليعبر بقوة الصفير وجرسه القوي في السمع عن قوة الدفع وشدته. ثم يقترن صوت الزاي بحرف الحاء الحلقي الرخو والمهموس.

فالزاي بصفتيه الجهورية والرخوة وخصوصيته الصفيرية ، يضفي على الزحزحة حركية ، بحيث بدت التنحية من غير طواعية، وأن هناك قوة مؤثرة أخرى هي الفاعلة ، في حين أن خفة حرف الحاء أوحت باستجابة من وقعت عليه الزحزحة العنيفة فكان بذلك طيعا من ضعف وانكسار نفس، وتواشج الحرفين وتكرارهما في الصيغة مكن من استمرارية التناوب في عملية وقوع الزحزحة.

2. ذبذب: والذبذبة تعني الاضطراب ، يقال : "ذبذبه فتذبذب ومنه قول النابغة :

ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل مُلك دونها يتذبذب

قال ابن جني : المذبذب القلق الذي لا يثبت على حال"[7] ، وأصله من الذب وهو الطرد والمنع والدفع الشديد[8] ، وفي هذه الآية بيان لحال المنافقين الحائرين المترددين وما ينتابهم من قلق وحرج، فهم "ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار"[9] ، وحقيقة المذبذب الذي يذبُّ عن كلا الجانبين يُذَاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد؛ إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب[10] ، واختيار التعبير القرآني لصوتي الذال والباء وتكريرهما (مذبذبين) فيه دقة بالغة، فالذال صوت رخو مجهور لثوي احتكاكي ، مخرجه بين الثاء والظاء يعكس موقع المنافقين بين المؤمنين والكافرين. والاحتكاك في مخرج الذال يوحي بالتصادم والدفع الشديد من كلا الطرفين ، وهو ما توحي به صفة الرخاوة التي أضفت عليه مرونة جعلته يطاوع حالتهم بين هؤلاء وهؤلاء . وفي صوت الباء الشديد المجهور، الذي ينحبس فيه الهواء عند إطباق الشفتين ثم ينفجر الصوت بانفراجهما، إشارة إلى حال المنافقين وما ينتابهم من غليان وحيرة جراء الطرد وامتناعهم عن كلا الطرفين.

ولما كانت الباء من حروف القلقلة في اللغة العربية ناسبت هذه الصفة وما فيها من صدى وتكرير موقف " الذبذبة والأرجحة والاهتزاز، وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين: الصف المؤمن أو الصف الكافر" [11].

3. حصحص: وردت في الآية بتكرار حرفي الحاء والصاد مبدلين عن أحد الحرفين المضاعفين وهو الحاء من الأصل الثلاثي المضعّف الوسط (حصّص). و "حصَّص الشيء تحصيصا، وحصحص بان وظهر"[12] ، وقد كان لتخير وانتقاء حرفي الحاء والصاد مكررين أثر بالغ في توجيه المعنى إلى دلالة غلبة الحق ولو بعد حين ، فالحاء من حروف الحلق ، في حين أن الصاد هو حرف أسناني لثوي[13]، وهو ما يعطي إيحاء إلى شمولية هذين الحرفين لجهاز النطق، والذي ناسب الصدع بالحق والنطق به بعد طول غياب، فكأن الحق زائر طال انتظاره فاشتاقت له الجوارح وشاركت بنطقه جميعها، فالحرفان يحملان من قوة الجرس وروعة الأداء ما يحمل النفوس على الإحساس بالمعنى الذي تحمله، فضلا عن أن الحاء هو حرف رخو مهموس منفتح ،

فكأن النطق به قد حبس مدة طويلة، فلا يكاد يسمع إلا همسا وخفية، على خوف من عزيز مصر. فجاء حرف الصاد الرخو المهموس المطبق ، ليطبق على تلك الكلمات وينشرها أمام الملأ ، فما لهذا الحق من محيص إلا أن يصدع به . و تكرار صوتي الحاء والصاد أعطى للصورة شحنة انفعالية مضاعفة فجعل اللفظ منسجم مع المعنى الذي جاء به.

4. صلصل: والصلصال هو" الطين اليابس الذي يصلصل عند نقره، المتّخذ من الطين الرطب الآسن"[14]. قالوا : "إذا توهمت في صوته مدّا فهو صليل ، وإن توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة"[15]

فتكرار الصاد مع اللام فيه دليل على الصلابة والتماسك والتراص بشكل قوي والشدة التي يكون عليها الطين في هذه الحالة تشبيها له بصلصلة الحديد، إذ يتناسب صوته مع صفير الصاد وحدَّته، إلا أنه لما اقترن بصوت اللام الانحرافي " فهو من حروف الرخاوة لكنه انحرف بين اللسان مع الصوت إلى الشدة فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض شديد ولا خرج معه الصوت كله خروجه مع الرخوة فسمي منحرفا لانحرافه عن حكم الشديد وعن حكم الرخوة فهو بين صفتين"[16] ، فصوت اللام إذن كان متجها نحو الشدة ثم انحرف عنها، وكذلك الصلصال كان متجها لأن يكون فخارا لو مسته النار يقول الزمخشري:" الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ ، وإذا طبخ فهو فخار" [17] فلا هو طين لازب هش ولا هو فخار صلب شديد وإنما هو بينهما، فلو كان فخارا لكان اشد وأصلب وكان صوته أصدع ولكن اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون شديدا وصلبا دون أن تغشاه النار لأنه خلق منه الإنسان ، والنار (الحمأ المسنون) خلق منها الجان.

5. صفصف: و الصفصف هو الأملس من الأرض الذي لا نبات فيه[18]، والأرض الخالية لا أثر عليها[19]. جيء به في سياق هذه الآية الكريمة للدلالة على استواء الأرض بعد تفريغها " فإذا الجبال الراسية الراسخة قد نسفت نسفا وإذا هي قاع بعد ارتفاع، قاع صفصف خال من كل نتوء ومن كل اعوجاج "[20].

وذلك لمناسبة قوة صوت الصاد وإطباقه وصفيره لهذا المشهد المريع وكأنه ريح قوية عاصفة أتت على الأخضر واليابس. ويتلوه صوت الفاء المهموس وهو من أضعف الأصوات في اللغة العربية ليتناسب مع الإخلاء والتفريغ حتى النهاية، حيث لا يبقى أثر. كل ذلك صيغ في مقطع ثنائي مكرر، تكون من صوتي الصاد والفاء المتقاربين في المخرج ، فالصاد من الحروف الأسنانية اللثوية، والفاء صوت شفوي أسناني[21] ، ليعبر هذا التقارب عن تقارب بداية ونهاية هذا المشهد وسرعتها التي قضت على كل ما على الأرض ، حيث يفيد همس الفاء وانفتاحها استمرار بقاء

الأرض خالية ، وجو الصمت السائد حينها و"كأنها عاصفة تسكن بعد ذلك النسف والتسوية ، وتنصت الجموع المحشودة المحشورة وتخفت كل حركة"[22] فلا تسمع إلا همسا.

6. كبكب: حرفا الكاف والباء في أصلهما صحيحان، يدلان على الجمع والاجتماع وعدم ضياع شيء منه؛ في حين أن الكبكبة تعني الإلقاء في الهوة حتى القرار ، وورد في لسان العرب (الرسّ في هوة)[23]؛ والتضعيف في هذا دل على تكرار الانكباب مرة بعد مرة حتى يستقر قال الزجاج :"ومعنى كبكبوا طرح بعضهم على بعض ، وقال أهل اللغة معناه دُهوروا وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها نستجير بالله منها."[24] وتبين أن اجتماع حرفي الكاف والباء في هذه الصيغة المكررة ترك أثره البالغ على المعنى؛ فالكاف حرف طبقي في المخرج، مهموس شديد في صفته العامة متسفل منفتح في وضعه الخاص،[25] شدة الهمس به منحت حركة الكب قوة في دفع المكبوبين المتمنعين من السقوط في الهوة، فتناسب فعل الكب وصوته معا في لفظ واحد.

أما حرف الباء فشفوي المخرج مجهور شديد في وصفه العام، ومقلقل في وصفه الخاص، وهي صفات تدل على القوة في تكرار حرف الفعل (كبكبوا) وتحمل أصوات حركة الدفع؛ والسقوط والدبيب الناشئ عنهما يشكل الحدث جلبة تنخلع لها القلوب:" وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه."[26]، ذلك أن قوة حرف الباء المكررة في الصيغة، وقلقلتها أوحى بهذا المشهد المروع، نظرا لقوة الدفع وصوته المتتابع حتى السقوط في الهاوية.

7. سلسل: "والسلاسل جمع سلسلة (معروفة) قال الراغب تسلسل الشيء اضطرب ، كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه"[27]، والسَّلسلة بالفتح إيصال الشيء بالشيء[28] ولما كان في السِّلسلة بالكسر إيصال بعض الخلق بالبعض سميت بها[29]، فكلنا لآدم وآدم من تراب، كما جاء في خطبة الوداع، فلفظ السلسلة إذن يوحي بمعنى التتابع والتردد انطلاقا من تتابع حلقاتها، وهو ما يعكسه تكرر المقطع الصوتي والذي يضم صوتي السين واللام.

أما السين فذلك الصوت الأسناني اللثوي الذي يتصف بالرخاوة والهمس[30] مما يوحي بالدلالة على الإخفاء والتكتم ، واللام الصوت السِّني الجهوري المتوسط والمنحرف[31] الذي يوحي

انحرافه بالخروج عن جادة الصواب ، حيث تدل السين واللام مع ماثلتها في اللغة على خروج الشيء[32] يقول ابن فارس:"السين واللام أصل واحد ، وهو مدّ الشيء في رفق وخفاء"[33] .

والملاحظ أن لفظ "سلسل" المكرر جمع بين الخفاء و الانحراف ثم الخروج بصورة متدرجة ومتكررة وهو ما يتناسب مع سياق الآية الكريمة "في تدريج ابن آدم بأن ذكر مبدأه الأول، وهو من تراب ثم أشار إلى التناسل بخلقه من نطفة"[34]؛ حيث لا يتعظ الكفار ويتمادوا في جدالهم وضلالهم مهما تقلبوا في الخير والمتاع ، فإنما مصيرهم النار وقد توعدهم الله بعقاب يستحق العجب والإعجاب[35]، في مشهد عنيف من العذاب والإهانة " مشهد الأغلال في الأعناق والسلاسل في الأقدام ، ومشهد السحب إلى جهنم والسجر في النار ثم التأنيب والتقريع"[36]، فمهما طال ضلالهم فلابد أن يظهر الله الحق ويؤاخذهم بما كسبوا ، فرحلة الكفار وحياتهم الدنيا والأخرى كلها توحي بها لفظة السلاسل التي جاءت جمعا للتهويل، فالسين بهمسها ورخاوتها وطولها تعبر عن سوء أعمالهم وهوانها طيلة حياتهم ، واللام لظهور الحق ووجوب العقاب نظرا لانحرافهم عند الصراط المستقيم والتوسط فيها يوحي بالعدل والقسط فلا يظلم ربك أحدا.

8. رفرف: والرفرف " مجلس مفروش يرف بالبسط والوسائد"[37] إذا استوى عليه صاحبه رفرف به أو هوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا[38]، ومنه رفرفة الطير لتحريك جناحيه وارتفاعه في الهواء، ورفرفة العلم إذا حركه الهواء. ولما كانت الرفرفة تقتضي التحرك والتأرجح أو القبض والبسط كان اختيار صوتي الراء والفاء أنسب للدلالة عليها.

فالراء صوت لثوي تكراري مجهور قوي[39]، وهذا التكرار ولّد إيقاعا تردد بين درجتي الارتفاع والانخفاض، وهذا الإيقاع يتناسب مع صوت الرفرفة .

حتى إذا اقترن بصوت الفاء المهموس الضعيف دل على التناوب بين الحركة والسكون أو القبض والبسط أو الابتعاد والاقتراب ليدل بذلك على دوام الراحة والحرية والانبساط والسعادة التي تغمر أهل الجنة.

9. صرصر: والصرصر هي "العاصفة التي تصرصر ، أي تصوت في هبوبها" [40] ، دلالة على قوتها واستمرارها وشدة البرد فيها قال ابن منظور :" فإذا سمعت صوت الصرير غير مكرر قلت صرّ وصلّ، وإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: صلصل وصرصر"[41]. واجتماع حرفي الصاد والراء القويين في هذا اللفظ دليل على دقة انتقاء اللفظ القرآني ، ومناسبته للمعنى ، فالصاد صوت

أسناني لثوي رخو مهموس مفخم يمتاز بقوة صفيره المطابقة لصفير الرياح العاتية عتو عاد وجبروتها المحكي في القرآن[42].

وأما الراء فهي مكررة ترددية يتم نطقها من مقدمة اللسان مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية يطلق عليها أحيانا اسم المهتزة لأن إنتاجها يصاحبه دائما ذبذبة في الأوتار الصوتية أو اللسان أو اللهاة:[43]، فهي تدعم مشهد الاهتزاز المروع لهذه الريح الشديدة المستمرة، حيث انسجم التكرار الذي تتصف به الراء، وتكرار المقطع (صر) مع تكرار الصر معنى " وهو البرد الذي يصرّ، أي: يجمع ويقبض"[44]، وما يحدثه من ارتجاف واضطراب واهتزاز في هذه الرياح المدمرة التي تشبه في خروجها عن حدها العتو و الجبروت.[45] وقد صورت لفظة (صرصر) هذه العاصفة المزمجرة المدمرة في مشهد رهيب يضاهي طغيان عاد وجبروتها.

10. عسعس: وهي من ألفاظ الأضداد تأتي بمعنى : أقبل الظلام أو أدبر الظلام وحل النهار، ويتناسب هذا التضاد مع صفتي الصوتين المكررين ، فالعين من حروف الحلق، في حين أن السين هو حرف أسناني لثوي.[46] وهذا التباعد في المخرج يشعرك بتباعد الليل النهار، فضلا عن أن العين حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وهو ما يدل على تقدم الوقت أثناء الليل ، ولعل توسطه بين الشدة والرخاوة هو ما ألبسه هذا المعنى ، فالوقت إذا توسط الليل لم يسمع لأحد صوت ، إذ يهجع الناس إلى مضاجعهم ، وسر التوسط هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذ قورنت بالعين ، وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين ،[47] وتكتمل هذه الصورة بحرف السين فهو رخو مهموس، والليل إذا أرخى سدوله لم يسمع لأحد صوت ، إذ يحل السكون والهدوء وهو ما يناسب الرخاوة والهمس التي فيه، فتكرار العين والسين وتجاورهما في هذا الفعل جعله "يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل وهو يعسّ في الظلام"[48].

11. دمدم: والدمدمة تعني الهلاك في دلالتها: "وهو أصل واحد يدل على غشيان الشيء"[49]، و"دمّهم يدمّهم دما: طحنهم فأهلكم."[50]

هذا الموقف الضاجّ والمدوي الذي يعبر عنه الفعل تعود فيه قوة تصوير الدوي إلى مزية التقاء حرفي الدال والميم ، فالدال حرف أسناني لثوي في مخرج، صفته الجهر والشدة في عموم التصويت به،، وصفة القلقة في خصوصيته الجرسية؛ وقد جعل لصوق حرف الميم به حرفا مجهورا وانفجاريا قويا يحدث دويا في أذن السامع ، أما حرف الميم يلتقي به في صفة

الجهر وتقارب المخارج، وهو وسط بين الشدة والرخاوة مخرجه الشفتان :" ومما بين الشفتين مخرج الباء، الميم والواو"[51]

والميم حرف غنة : " ويخرج من الخياشم لا عمل للسان فيه مع صنوه النون"[52] وهي من صفات الشدة والوضوح.

وقد جعلت الخاصية الصوتية الجهرية لحرف الدال منه الأنسب تعبيرا عن الرهبة وقوة الدمدمة؛ وجعلت منه غنة الميم الأكثر تدليلا على غضب الله على هؤلاء الأقوام والتكرار في الحرفين متابعة وتعاقب؛ مما يوحي أن صيغة "فعلل" دللت على التضعيف في العقاب وترديده مع شدة البطشة، وهو ما تنسجم معه حالة الغضب وتكون نتاجا له وهي صورة متكاملة للدمدمة وصفها القرطبي بالإطباق وقال:" دمم عليه القبر: أطبقه فإذا كررت الإطباق ، قلت دمدمت"[53].

12. زلزل: يقال زلزل الشيء إذا هزّه وحرّكه بشدة ومنه الزلزال لأنه يحرك الأرض ويهزها بشدة وعنف[54] لذلك ناسبه تجاور الزاي واللام ؛ فالزاي من الحروف الأسنانية اللثوية، في حين أن اللام هو حرف لثوي جانبي، فهما مشتركان في الخروج من هذا المكان مع اختلاف بسيط، وهذا التجاور في المخرج يدل على سرعة النطق بالكلمة، فكأن الزلزلة التي تحدث في ذلك اليوم لا تعدلها الزلازل التي حدثت منذ خلق الأرض ، لشدتها وقوتها وسرعتها، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون، والأرض من تحتهم تهتز وتمور[55]، فضلا عن أن الزاي هو حرف رخو مجهور منفتح أيضا، وهذا الاجتماع في الصفة يؤكد المعنى السابق فالرخاوة للأرض تناسب شدة الزلزلة، فكأن الأرض بجبالها الشاهقة رخوة هشة لا تلبث أن تتلاشى أمام هذا الهول والدمار المنفتح كانفتاح صوت الزاي واللام.

الخاتمة:

وأخيرا وبعد دراسة هذه الأبنية الرباعية المكررة الواردة في القرآن وتحليلها تبين أنها جميعا تشترك في حقل دلالي واحد، نظرا لتقارب دلالاتها واشتراك سمة الاهتزاز فيها ، على نحو: زلزل وزحزح وذبذب، لذلك سميت بالألفاظ الاهتزازية، كما يتضح بجلاء ارتباطها بدلالة أصواتها التي تتشكل منها، والتي توحي بالصلة بين معنى الحدث وصوته كما هو الحال في : الكبكبة والصلصلة والدمدمة وغيرها.

إلى جانب ذلك تشير دلالتها اللغوية إلى الأصل الثنائي الذي ضعّفت منه، إلا أننا نجد في الرباعي منها تكرارا ومبالغة واستمرارا في الحدث مقارنة بالأصل الثنائي، كما هو الحال بالنسبة للفرق بين دلالة: زحّ وزحزح، وكبّ وكبكب، وصرّ وصرصر...

الاستنتاجات:

1- يؤدي بناء الرباعي المكرر في القرآن الكريم دلالة يشترك فيها التكرار مع الاهتزاز، لذلك عرفت بالألفاظ الاهتزازية.

2- يشير التكرار في المقاطع الصوتية إلى تأكيد الدلالة وتكرارها واستمرارها.

3- يتناسب مدلول هذه الصيغ المكررة مع طبيعة الأصوات التي شكلت منها وأبعادها الدلالية .

4- تسلسل الحروف وترتيبها في هذه الأبنية يتناسب طرديا مع الدلالة من بداية الحدث إلى نهايته.

5- التشكيل الصوتي لهذه الألفاظ وما ينضوي تحته من مخارج وصفات يلقي بظلاله على المعنى المراد.

6- ترتبط دلالة الأفعال الرباعية المكررة بدلالة أصلها الثنائي المضعف، مع تكرار في المعنى يفيد المبالغة في الحدوث.

الهوامش:

1 ينظر : عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، بيروت، دط، 2008، المقدمة.

2 إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط6، 1986، ص46.

3 عبد الرحمان مطلك الجبوري ، معجم الرباعي المكرر في العربية، مصر، ط1 ،2017، المقدمة.

4 أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 4، ج2، ص103.

5 بلال عبد الستار مشحن، الدلالة اللغوية للألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم ، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، ع13، 2017، ص17.

6 سعيد إسماعيل صالح صيني، منهج أبحاث المفسرين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2019، ص87.

7 محمد الأمين العلوي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تح: هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001، ج6، ص441.

8 أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط3، 1414هـ، ج1، ص380.

9 أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ ، ج1، ص715.

10 جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، دت، ج1، ص 580.

11 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ، ط7، 1412هـ، ج2، ص 784.

12 مجد الدين الفيروزابادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص 615.

13 حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، 1990، ص157.

14 سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج4، ص2137.

15 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص576.

16 مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار ابن كثير ، سوريا، ط1، 2018، ص238.

17 الزمخشري، الكشاف، ج2، ص576.

18 أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت ، دط، 1420هـ،ج5، ص 372.

19 أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص ، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، د ط، بيروت، ج3، ص72.

20 سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج4،ص2352.

21 ينظر: محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط2، 1998،ص144.

22 سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، 2352.

23 ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص697.

24 أبو إسحاق الزجاج، إعراب القرآن الكريم ومعانيه ، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، مصر، ط1، 1988، ج4، ص94.

25 حسان تمام ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1990، ص95.

26 سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2006، ص133- 134.
27 أبو الطيب القنوجي، فتح البيان في بيان مقاصد القرآن ، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د ط، 1992، ج12، ص212.
28 أبو بكر بن دريد، جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987،ج1، ص204 .
29 حدائق الروح والريحان ، ج25،ص288.
30 محمود السعران، علم اللغة ، ص104.
31 المرجع نفسه، ص144.
32 صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية ، المكتب العربي الحديث، مصر، ط1، د.ت، ص154.
33 أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1979، ج3، ص 59.
34 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ،ج9،ص270.
35 سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص3066.
36 سيد قطب، مشاهد القيامة، ص166.
37 محمود بن أبي الحسن النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، جامعة أم القرى ، مكة، د ط، 1998،ج3، ص1444 .
38 شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ج17، ص191.
39 محمود السعران، علم اللغة، ص 142.
40 الزمخشري ، الكشاف ، ج4، ص599 .
41 ابن منظور ، لسان العرب، ج4، ص450
42 سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج6، ص3678.
43 أحمد مختار عمر ، أسس علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط 8 ، 1998، ص 86 .
44 الزمخشري ، الكشاف ، ج4، ص599.
45 أحمد عبد الله البيلي البدوي ، من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر ، القاهرة، ط1، 2005،ص169 .
46 أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 8 ، 1998، ص85.
47 ينظر: إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط4، 2007، ص85.
48 سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم ، ج6، ص3841.
49 ابن فارس، مقاييس اللغة ، ج2، ص 260.
50 ابن منظور ، لسان العرب، ج 12، ص209.
51 سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3، 1988، ج 4، ص433.
52 المصدر نفسه، ج2، ص8.
53 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص79.
54 أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، ط1، 2008، ج2، ص990.

55 سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3955.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط4، 2007.
2. إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط6، 1986
3. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص ، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د ت.
4. أبو الطيب القنوجي، فتح البيان في بيان مقاصد القرآن ، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1992.
5. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 4، د ت.
6. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط3، 1414هـ.
7. أبو إسحاق الزجاج، إعراب القرآن الكريم ومعانيه ، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، مصر، ط1، 1988.
8. أبو بكر بن دريد، جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.
9. أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت ، د. ط، 1420هـ
10. أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ .
11. أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1979.
12. أحمد عبد الله البيلي البدوي ، من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر ، القاهرة، ط1، 2005 .
13. أحمد مختار عمر ، أسس علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط 8 ، 1998.
14. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، ط1، 2008.
15. بلال عبد الستار مشحن، الدلالة اللغوية للألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم ، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، ع13، 2017.
16. جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.
17. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، 1990.
18. حسان تمام ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، 1990.
19. سعيد إسماعيل صالح صيني، منهج أبحاث المفسرين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2019.
20. سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3، 1988
21. سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت ، ط7، 1412هـ
22. سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2006.
23. شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964.
24. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية ، المكتب العربي الحديث، مصر، ط1، د.ت.

25. عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، بيروت، د ط، 2008 .
26. عبد الرحمان مطلك الجبوري ، معجم الرباعي المكرر في العربية، مصر، ط 1. 2017.
27. مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005.
28. محمد الأمين العلوي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تح: هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001.
29. محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط2، 1998.
30. محمود بن أبي الحسن النيسابوري، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ، جامعة أم القرى ، مكة، دط، 1998 .
31. مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار ابن كثير ، سوريا، ط1، 2018.